الفصل الثالث
"ارتياب"

في مكتب اللواء منير ثروت..

طرق هشام باب مكتب اللواء حتى أَذِن له بالدخول؛ فدلف ملقيًا التحية على رئيسه وهو يعلم جيدًا أنها ستُردّ له توبيخًا، ولم يخِب ظنه حينما أردف اللواء:

- أهلًا يا سيادة الرائد.. مش رائد برضه! ولا حضرتك اترقِّيت وأنا معرفش، أو يمكن الآية اتقلبِت.

هشام مقاطعًا محاولًا الدفاع عن نفسه:

- يا فندم العفو، بس..

اللواء بحزم:

- ماتقاطعنيش، يظهر إني اتساهِلت معاكوا عشان بعاملكوا بوِدّ زيادة عن اللازم، وكانت النتيجة إني أبقَى آخر من يعلم بالتطورات اللي بتحصل في القضية.. مش كده؟! لولا إني بثق فيك وإنك ماخذلتنيش ولا مرة قبل كده وملفّك نضيف أنا كان هيبقى ليّا معاك تصرف تاني، وهكتفي المرة دي بتحذيرك، مفهوم؟!

هشام مطأطئًا رأسه:

- مفهوم سيادتك.

اللواء: اتفضل ادّيني تقرير بكل اللي حصل، ومين اللي قبضتُّوا عليها؟ وفين كارولين؟

مد هشام يده ببعض التقارير، ومن ضمنها ملف جنّة شارحًا له الأمر باستفاضة؛ فعقَّب اللواء مستفهمًا:

- وانتَ شايف إن البنت دي ممكن يكون ليها علاقة بالمافيا؟

هشام بتفكير:

- بصراحة يا فندم اعتقادي ٩٠٪ إنها مالهاش علاقة بيهم، وإنها مجرد ضحية بيشغلونا بيها عنهم.

اللواء:

- ولو ده حقيقي؛ فكده البنت دي هتكون معرّضة للخطر، خاصّة بعد ما عرفت معلومات عن المافيا وكشفِت وشّ كارولين.

هشام بأسف:

- للأسف يافندم، بس ماعندناش حل تاني غير إننا نحقّق معاها، جايز تكون ممثلة ممتازة واحنا مش لازم ننخدِع في براءتها.

اللواء بتهكّم: براءتها؟!

قحّ هشام متابعًا بتوتر:

- احم.. أقصد هيئتْها يا فندم.. هيئتها.

ضحك اللواء قائلًا: مفهوم يا سيادة الرائد، بس يكون في معلومَك البنت دي لو طلعت بريئة، أمر حمايتها هيكون مسئوليتك.

هشام: أكيد سيادتك.. أكيد.

و بعد انتهاء حوار اللواء مع هشام، همَّ هشام بالمغادرة، وما كاد يخرج من الباب حتى استوقفه اللواء:

- هشام!
- تحت أمرك يا فندم.
- هو أنا ليه حاسس إنك شاكك في حد معين وإن ده اللي مخلّيك مستبعد الشبهات عن البنت دي.

ابتسم هشام على ذكاء اللواء الذي اعتاد عليه؛ فلطالما تعلَّم منه الكثير من أمور الدهاء؛ فلا عجب الآن أن يفهم المعلّم ما يجوس بخاطر تلميذه، ردّ هشام بعينين ماكرتين:

- ظن سيادتك في محله يا فندم.

اكتفى اللواء بهذا الرد؛ فهو يدرك جيدًا أنه ليس بوسع هشام إلقاء التهم جزافًا قبل أن يتأكد بجمع الأدلة، والتي لو كانت تحت يده لَمَا صمَتَ حتى ذلك الحين.

*****

في منزل جنة...

كانت الساعة تدق التاسعة مساءً، ولم يكن المنزل في حالة مستقرّة بالمرة، بل كان يجوبه الهلع والفزع؛ فجنّة لم تعد إلى البيت منذ أن غادرته في الصباح، جاءت خالتها وولدَاها مالك وأحمد لمساعدة والديها في البحث عنها ومواساتهما، هتفت منال بقلق: ها يا طارق؟!

طارق بجزع: لسّه موبايلها مقفول.

خالتها: طب سألتوا عليها في الكورس خلصته امتى؟

طارق: بيقولوا ماراحتش النهاردة.

خالتها: يعني إيه يعني؟ أومال تكون راحت فين؟

حدجها ابنها أحمد بنظرة توسّل للكفّ عن كلام في غير محله ولا أوانه؛ فقالت:هو أنا قولت حاجة! أنا أقصد مثلًا تكون خرجت مع صحباتها، أو...

منال وهي تأمل معرفة أي احتمال يوصِّلها بابنتها: أو إيه؟

أختها بتردد:

- يعني.. جنة مش صغيرة برضه وأكيد ليها زمايل.. شباب في الجامعة.. ممكن يعني، ممكن...

تدخل ابنها أحمد مقاطعًا:

- ماما! جنة متربية كويس، وأظن مش وقته أبدًا كلام زي ده.. لو سمحتي.

أحمد هو الابن الأصغر لسلوى _خالة جنة_ ويكبر جنة بسنتين فقط، لم تكن جنة تمثّل له ابنة الخالة فحسب، بل كانت علاقتهما أقوى من والدتيهما بذاتهما؛ فكان لها خير الأخ الذي لم تلده أمها، والصديق حافظ أسرارها، وكانت هي له بالمثل؛ لذا لم يكن بتاتًا على استعدادٍ لسماع كلمة سيئة بحقها وإن كانت من أمه، والتي لم تقصد هي الأخرى التجريح أو الإهانة، لكن عفويتها الزائدة أحيانًا لا تكون في صالحها.

أما عن مالك فهو الابن الأكبر لسلوى يعمل مهندسًا، وتزوّج حديثًا من فتاة طيبة هي بالأساس صديقة لجنّة وتدعى "سارة"، هتف مالك:

- أنا ليّا واحد صاحبي ظابط في قسم الأزبكية، ممكن أكلمه يشوفلنا طريقة ندور عليها بيها.

طارق بلهفة:

- ياريت يا ابني، يبقى كتّر ألف خيرك.

التقط مالك هاتفه وطلب رقمًا في انتظار الرد....

*****

دلف هشام من باب عمارته ملقيًا السلام على البواب:

- سلام عليكوا يا عم رشوان.

- وعليكم السلام يا سعادة البيه، حمدًا لله ع السلامة.

تتكوّن العمارة من خمس طوابق، أحدهم يقطن به هشام مع أسرته، والتي لم يتبقّ منها سوى زوجة والده منيرة بعدما تُوفّي والده، وتزوّجَت أخته

الصغرى والوحيدة، وطابق آخر ليتزوج به، وطابقَيْن قد قاموا بتأجيريهما، والخامس هو سطح المبنى.

فتح هشام باب الشقة، وما كاد يدلف حتى وجدَ منيرة تقف عاقدة ذراعيها أمامها في امتعاض؛ فأغلق الباب وجلس إلى أحد مقاعد الصالون واضعًا المفاتيح على الطاولة بقربه مستفهمًا:

- إيه يا منيرة مالِك؟ البتّ حنين مزعلاكي ولا إيه؟ بس مش شايفها هنا يعني، أومال فيه إيه؟

منيرة باستهجان: يعني مش عارف فيه إيه؟!

هشام: وحياتِك عندي يا مونمون يا قمر ما أعرف.

منيرة: أيواا.. كُل بعقلي حلاوة كُل.

هشام: ماينفعش مرَبَّى، أصلي جعان قوي...

لم تدعْهُ يكمل حديثه؛ فقذفته بوسادة الصالون معقبة:

- ماتحاولش تقْلِش تاني، أديني حذّرتك أهو.

هشام: يعني أبقى جدّ مش عاجب، أهزّر برضه مش عاجب!

استمرَّت منيرة على موقفها متذمّرة؛ فنهض وأحاطها بحنوّ قائلًا:

- طب قوليلي أنا عملت إيه زعّلك؟

منيرة: لارا بتشتكي منك.

هشام بضيق: يييه، وبتشتكي ليه ست لارا؟ هو احنا لحقنا؟! أنا لسه خاطبها من أسبوع.

منيرة:

- بتقول مطنّشها وبترنّ عليك طول اليوم ومابتردش عليها.

أخرج هشام هاتفه من جيبه وتفقّد المكالمات، وجد عدة مكالمات فائتة منها فقط عدد ١١٣، جحظَت عيناه ثم تابع قائلًا:

- بقى بذمّتك يا منيرة، فيه واحدة عاقلة ترن فوق المية مرة؟! وبعدين أنا كان عندي شغل طول اليوم وبطَارِد مافيا، هسيب المافيا وأركز مع ست لارا؟!

شهقَت منيرة باندهاش: مافيا؟! وعملت إيه؟

هشام بتكلف يسوّي من ياقة قميصه بطريقة مسرحية:

- انتِ عارفة مابحبّش أتكلم عن نفسي كتير.

منيرة: اتوكس.. يبقَى هربوا منك ورجِعْت إيدك فاضية.

هشام: لا وانتِ الصادقة رجِعْت بحتة بت.. إنما إيه ملاااك.

منيرة: نعم يا حبيبى؟!

هشام باستفاقة: هاه.. انتِ مش هتأكّلينا ولا إيه؟ أنا واقع من الجوع.

منيرة: طب ادخل غيّر هدومك عقبال ما أحط الأكل.

نهض هشام ليدخل غرفته، حينما نادته منيرة:

- هشام، عشان خاطرى يا حبيبى.. ادّي لخطيبتك ريق حلو.

هشام: عشان خاطرِك أنا خطبتها أصلًا يا منيرة، إنما جو المُحن ده أنا ماليش فيه.

هزّت منيرة رأسها بيأس تتمتم "ربنا يهديك يا ابني"، ثم اتّجَهَت إلى المطبخ لتعد له الطعام.

منيرة سيدة أصيلة وأم حنونة، في نهاية عقدها الرابع، ومع ذلك غطّى الشيب رأسها، وغادرتها نضارة البشرة، تجعّدَت قسماتها قليلًا، وكأنها في الستينات من عمرها؛ وذلك لِمَا جاهدته طيلة حياتها من متاعب، ومثابرتها على تربية أبنائها بمفردها، تتّسِم بجسد بدِينٍ قليلًا تتراكم به الشحوم لقلة حركتها، وبالرغم من كل ذلك تتمتّع بابتسامة حيّية مبعثها هو الرضا.

تزوّجَت منيرة من محمد العجمي والد هشام بعدما تُوفّيَت زوجته بخمسة أشهر، في ذلك الوقت كان هشام يبلغ من العمر ستّ سنوات، وكأي طفل في مثل عمره كان متعلقًا بوالدته كثيرًا، وبعد فقدانها تأثّرَت نفسيته وساءت إلى حد كبير؛ فاضطر والده للزواج ليجد من يعتني بابنه في المقام الأول، وتعويضه عن حنان أمه الراحلة، وقد كان اختياره لمنيرة اختيارًا موفقًا؛ فقد كانت نِعْمَ الأم لطفل لم تُنجِبه، وخاصة أنها تأخّرَت في الإنجاب مدة سبع سنوات حتى أنجبَتْ حنين، وقد تركت أمر تسميتها لهشام كي تزرع به حبه لأخته، ومع ذلك ففي بادئ الأمر لم يكن هشام نِعْم الابن؛ فقد أرهقها كثيرًا حتى اعتاد على وجودها وحنانها، لكنه أبَى أن يعطيها لقب أمه، ولم تجاهد هي للحصول على ذلك؛ فقد كانت سعادته وراحته هما غايتها، وبعد رحيل والده لم تتزوّج منيرة مرة أخرى، واهتمَّت به وبأخته، وذلك ما يقدّره لها هشام؛ فأضحى يعتني بها أكثر من ذي قبل.